الفاشية
بين النظرية والتطبيق

الاستنتاج
Conclusion

obeikan.com

obeikan.com

وبعد هذه الاعتبارات التى عبرنا بها عن مدى اختلاف الماركسيين فى فهمهم للفاشية ، ينبغي أن يكون من الممكن لنا بناء النظرية الماركسية المركبة عن الفاشية ، وهذه النظرية يفترض أنها تمثل النموذج الذي يقول أكثر من المعتاد من مجرد ملاحظات كتبها الماركسيين من النظريات الماركسية عن الفاشية . ولا يمكن إنشاء هذا النموذج إلا عند النظرية الثالثة أو كما أسميناها بـ« النظرية الجدلية للفاشية». والسبب ببساطة هو أنه لا يمكن للنظريات من اليسار ولا من اليمين أن تقف بمفردها. لأن كل منها منفردا ، يقدم رؤية جزئية ؛ ولكنهما معا ينجحان فى تشكيل نموذجا للفاشية بحيث يقدم شرحا عن ماهية الفاشية بشكل افضل بكثير.

إن «النظرية الماركسية اليسارية» ، الواردة في الفصل ٣ ، تميل إلى تعريف الفاشية باسم «القاعدة الرأسمالية الاحتكارية في أنقى صورها»، والتى لاتعانى من القيود ، والتى ليست معرضة للخطر.

ومن المؤكد أن هناك بعض الصحة في هذه الحجة. فقد أدت الفاشية ، كنظام ، إلى التوسع الرأسمالي، وكذلك أدت إلى السيطرة الكبيرة للطبقة الرأسمالية الاجتماعية على حساب الطبقة العاملة. ومع ذلك ، فإن ضعف هذه النظرية يكمن فى أنها تربط بين السمة الرجعية للفاشية فقط وحاجتها لرأس المال باستغلال الطبقة العاملة. وبالتالي فإنها تفشل فى شرح كيفية أن العديد من الحركات الفاشية كانت قادرة على بناء دعم مادى كبير لنفسها. لذلك فإن نظرية اليسار تلقي ظلالها على الفاشية باعتبارها مجرد أداة «للحكم الرأسمالي». و يتضح من وجهة نظر «جوني هارتفيلد»والصورة الشهيرة التى قام بعمل مونتاج لها واقفا هو وهتلر ، وهو يمد ذراعه لإعطاء هتلر رشوة مع عبارة نصها : «ورائى .... هناك الملايين».

وعلى النقيض من ذلك ، فإن نظرية اليمين الماركسي تنفى الارتباط بين الرأسمالية

والفاشية. وكما هو الحال بالنسبة لمفهوم الجبهة الشعبية عن الفاشية ، حيث إن الجبهة الشعبية تربط بين الفاشية بمجموعة صغيرة ، والذين يعتبرون أسوأ إمبرياليين من الطبقة الرأسمالية ، إلا أن ربط النظرية اليمينية بين الفاشية وبين البرجوازية الصغيرة لوحدهما فقط ، يعمل بالتالي على تضخيم احتمالية قيام البرجوازية الصغيرة بالعمل المستقل وهو ما لم يحدث. وفي هذا النموذج ، ينظر إلى البرجوازية الصغيرة على أنها إما قوة مستقبة ثورية ثالثة ، وبذلك تضع البرجوازيين فى صورة خطيرة جدا قريبة من الصورة الذاتية للفاشيين أنفسهم ، أو في شكل طبقات جديدة مؤيدة للطبقة الرأسمالية الحاكمة.

وفي كل الأحوال فان نظرية اليمين لا يمكنها أن تفسر لماذا سجن وقتل الفاشيون أعدادا غفيرة من الطبقة العاملة عندما كانوا في السلطة ، بينما تركوا الطبقة الحاكمة والنظام الرأسمالي للملكية الخاصة سليما ودون مساس. وكذلك ترك الفاشيين أيضا لفئات معينة من الحركات الجماهيرية دون التعرض لها.

ولطالما وصفت الفاشية بالبربرية ، ولكنها كانت أيضا لها توجهات تاريخية لمساعدة أعضاء الطبقات الوسطى ، وكان لديها القدرة على التعبير عن مظالمهم. وفي هذا السياق كانت الاشتراكية تلعب دور «اشتراكية البرجوازية الصغيرة».

والفاشية في أبسط صورها ، مثلما تجسدها النظرية الجدلية على أنها« شكل محدد من الحركة الجماهيرية الرجعية» . ولكن حتى هذا التعريف البسيط له ثلاثة جوانب على الأقل.

رجعية الفاشية

إن الفاشية هي أيديولوجية رجعية. وكلمة 'رجعية' هنا لا تستخدم لتعني أن الفاشية سعت إلى العودة إلى الوراء في مسار التاريخ كله . فرجعية الفاشية تكمن في

تحديد طموحها لسحق الطبقة العاملة المنظمة ، وللقضاء على الإصلاحات التي فازت بها تلك الطبقة العاملة طوال عقود من النضال السلمي. فالفاشية لم تسع لأن تكون الراعى الأسطوري في المناطق الريفية ، ومن هنا كانت مشكلة عداء الطبقة العاملة للرأسمالية. ولذلك ، فبالنسبة ل «أوتو باورOtto Bauer» كانت الفاشية «دكتاتورية العصابات المسلحة».أما بالنسبة ل « لماكس هوركهايمر» «فكانت: النظام الشمولي الذى كان يختلف عن البرجوازية فقط لأنه فقد كل الموانع. « أما وجست ثالهيمير» فيقول :« كان الهدف الفاشي هو »«القضاء التام... على الحقوق الديمقراطية للعمال». ووصف «دانيال غيران» وظيفة «الفاشية في السلطة» على أنه «ترويض البروليتاريا». ثم «ليون تروتسكي قائلا:« 'عندما تتحول الدولة للفاشية... وهو ما يعني في المقام الأول وقبل كل شيء أن يتم إنشاء نظام للإدارة يخترق الجماهير فى العمق ، وهو نظام يعمل على إحباط التبلور المستقل للبروليتاريا.

وعلى الرغم من أنه سيكون من الصحيح القول بأن الفاشية كانت تستند على برنامج و تقاليد رجعية على حد سواء ، إلا أنه من الخطأ أن نرى الفاشية باعتبارها مجرد إيديولوجية (فكر)، وأنه لا جدوى من إضاعة الوقت في تحديد أى من تلك الأفكار كان فاشيا ، وأى منها لم يكن فاشيا. ولقد قامت الحركات الفاشية المختلفة بتبنى أفكار مختلفة جذريا فيما بينها. ففي ألمانيا ، تم تأييد الحزب النازي في أوقات مختلفة من قبل كل من البروتستانت والكاثوليك. بالرغم من أن الكتاب النازيين يختلفون عن مدى تأييدهم كفاشيين لأى من هذه الأديان ، أو تأييدهم لأي دين على الإطلاق. ونجد فى ايامنا هذه أن حركة لوبان في فرنسا اليوم مرتبطة ارتباطا وثيقا بـ«الكاثوليكية الرومانية». وعلى الرغم من هذا التناقض ، فالجبهة الوطنية FN لا تزال حزبا فاشيا ، لأنها تستخدم الأفكار المختلفة ولها مصالح الهدف منها

يمثل نفس الأهداف التى كانت لكل من موسوليني أو هتلر. وكلاهما (الجبهة الوطنية والفاشية) يعمل على تدمير حركة الطبقة العاملة المنظمة .

ولطالما اختلف العديد من الماركسيين حول تساؤل مفاده لماذا تحتاج الرأسمالية للقيام بمعالجة أمورها بطرق وحشية من هذا القبيل ؟ وسواء كان تفسير ذلك بأن صعود الفاشية سيجعل هناك ترابطا بين الدولة ورأس المال ، كما هو الحال في حجج سيلون Silone ، و«هيلفردينغ» و «بولوك» ، أو لسبب آخر مفاده مخاوف الرأسمالية من الثورة الاجتماعية ، أو من أزمة تسببها فئة حاكمة من جراء ممارستها للهيمنة.

وما يبدو مقبولا على الصعيد العالمي ، أنه وبالرغم من الأزمة السياسية والاقتصادية التى كان يمر بها النظام الرأسمالي ، إلا أن الفاشية تمكنت أن تنمو بسرعة في تلك الفترات . ، ففى فترة الأزمة في كل من إيطاليا وألمانيا ، و تعاقب الانتصارات والهزائم مع الطبقة العاملة ، كانت هى الفترة التى مكنت الفاشيين من النمو بهذه السرعة المذهلة .

ويمكن ملاحظة ذلك التأكيد على الارتباط بين الأزمة الرأسمالية وظهور الفاشية في تعريف «بيت الكسندر Pete Alexander »:

تم بناء الفاشية تحت وطأة الأزمة الاجتماعية المدقعة. وهى توفر نظام سياسي قائم على القمع المنهجي وإبادة الطبقة العاملة ، حتى عندما كانت الظروف التى تمر بها المنظمات الأساسية للنقابات ، غير متناسبة مع الأرباح التى يحققها رأس المال.

الفاشية كحركة جماهيرية

عندما قامت الفاشية ببناء نفسها كقوة مستقلة ، كانت قادرة على صنع الوعود «الأكثر ثورية». وهذه هي الطريقة التى وصفت بها « كلارا زيتكين Klara Zetkin صعود الفاشية الإيطالية بقولها : « كانت الفاشيه ملجأ للمشردين من الناحية

السياسية ، والمعدمين اجتماعيا والواهمين. كما تحدثت غيولا ساس Gyula Sas » عن ما أسمته ب «العبارات الثورية الفاشية» ، بينما شدد كل من « ماكس أدلر Max Adler» و« كارل رينر Karl Renner » على الدور الذى لعبه العاطلين عن العمل من الذين انضموا إلى الأحزاب الفاشية وبأعداد كبيرة.

وكانت الفاشية قادرة على سن معظم أهدافها الرجعية تحديدا بسبب هذا الدعم الشعبي. ففي الظروف العادية ،نجد أن «سلطة الطبقة الحاكمة » تكون كافية للحفاظ على السلام الاجتماعي. وتكون الأفكار السائدة في أي عصر هي أفكار الطبقة الحاكمة ، فهي مفاهيم مشتركة ، بمعنى أنه من الأفضل لك « احترام الأغنياء» ، كما أنه من الأفضل لك « ألا تقوم بالاحتجاج». هذا هو ما كان يعنيه غرامشي من مصطلح «الهيمنة» ، في إشارة إلى العمليات التي تحافظ الرأسمالية بها على نفسها ، وهى عادة ليست عمليات عن طريق الإكراه ، ولكن عن طريق الموافقة والإجماع .و في أوقات الأزمات الاقتصادية أو السياسية ، فإن الهيمنة وحدها لا تكفي. فعندما يبدأ غالبية الناس في التساؤل عن الطبقة الحاكمة ، فمن الأفضل إلا تكون الإجابة أن الطبقة الحاكمة هى «السلطة فقط». وهذا ما يفسر مدى أهمية الطبقة الرأسمالية والحركات المماثلة التابعة للفاشية. وبما أن الحزب الفاشي ، وأعضاء الطبقة الرأسمالية يتشاركون فى مشاعر الكراهية لحركة الطبقة العاملة ، فحتى في أوقات الأزمات ، تضع الفاشية فى اعتبارها أن أفضل وسيلة للخروج من الأزمة ، هو إيجاد أفضل الحلول التى ترضى الطبقة الرأسمالية. في حين أن « اليمين المتطرف» فيما قبل الفاشية ، كان يمكنه أن يهدد الطبقة العاملة المنظمة «فقط» عن طريق « السلطة الاجتماعية للطبقة الرأسمالية» ، أما الفاشية فكانت مدعومة بالقوة البدنية والمادية للأحزاب الجماهيرية التى كانت تساندها.

و خلافا لغيرها من القوى اليمينية ، كان للفاشية لغة ثورية ودعم جماهيري ، والتي أمدتها بالقوة الاجتماعية لتنفيذ أهدافها من خلال تطرفها الراديكالى.

وقد أوضح الكثير من الماركسيين الطابع الجماعي والجماهيرى للفاشية كحركة ، وذلك من حيث وجود صلة عضوية بين الفاشية والبرجوازية الصغيرة. وهكذا يربط «زيبوردى Zibordi »الفاشية بصغار التجار وأصحاب المحال التجارية على وجه التحديد ، في حين أن «كارل راديك Karl Radek »،مع بعض التحفظ ، يصف الفاشية على أنها « اشتراكية البرجوازية الصغيرة».

وكان اتجاه الدراسات الماركسية الأخيرة ، يعمل على تقييم هذه العلاقة تجريبيا (أي الصلة بين الفاشية وبين البرجوازية الصغيرة). وكانت هناك دراسات حديثة وهامة أظهرت ارتفاع نسبة صغار المنتجين ، والمديرين وأصحاب المتاجر ومثل هذه الطبقات داخل حزب النازيNSDAP ، ولكن من المستغرب أكثر ،أنهم أنفسهم كانوا متواجدين داخل الجبهة الوطنية في بريطانيا عام ١٩٧٠.

والبرجوازية الصغيرة هى التى شكلت الفاشية ، بمعنى أن هذه الفئة قد تم تمثيلها بشكل كبير و لافت للنظر كأعضاء داخل الحزب الفاشي. وكانت الفاشية تعبر عن أفكار ومظالم أرباب العمل الصغار ، وأرباب العمل هؤلاء بدورهم وبانضمامهم إلى الحركات الفاشية ، ساهموا فى إعادة تشكيل الأحزاب الفاشية حسب خيالهم وتصورهم الخاص بهم. وهذه العلاقة تمثل مجموعة اقتصادية واحدة تمثل الجزء الأكبر من الشعب ، وإن لم تكن تمثل الشعب في مجملها . لذلك فلا يمكن القول أن كل فاشي هو برجوازي صغير ، أو العكس بأن كل أعضاء البرجوازية الصغيرة كانوا من الفاشيين ، أو بالأحرى أنه كانت هناك علاقة مزدوجة بين الإثنين.

ومن ناحية أخرى ، قامت الفاشية بتشكيل مزاج هذه المجموعة من صغار

البرجوازيين عن طريق طرح الأفكار والحجج التي تتواكب مع تجارب هذه الفئة من البرجوازية. ففي أوقات الأزمات ، تصبح البرجوازية الصغيرة مهددة، وتصبح بدورها شرسة. ويمكن لصغار الملاك أن يصبحوا أكثر نشاطا وتنظيما ، وعندما نشطوا فعلا قرروا الانضمام للأحزاب الفاشية في إيطاليا وألمانيا .

ووفقا ل« ليون تروتسكي» ، فقد كانت الفاشية تعبر عن «مظالم صغار الملاك» ، وعن من هم ليسوا ببعيد عن حالات الإفلاس ، وتقوم الفاشية بالتحدث لهذه الطبقة عن أبناءهم من الجامعيين الذين لا يجدون الوظائف، والحديث عن بناتهم وعدم تواجد المهور والخاطبين ، وترسخ فى عقيدتهم أن هذا [يتطلب المزيد النظام والضرب بيد من حديد].

ومن ناحية أخرى ، تشكلت الفاشية بسبب عدم قدرة هذه الفئة (البرجوازية) على تشكيل نفسها داخل تلك الفئة الحاكمة الجديدة. وقد كانت البرجوازية الصغيرة تأمل في استخدام الفاشية لتتقدم بنفسها إلى السلطة ، ولكنها كانت مصابة بالهلع خوفا من أن الإجراءات الطبقية الخاصة بها يمكن أن تشكل خطرا على السيادة الآمنة لرأس المال. وفي أوقات الأزمات ،أراد أرباب العمل الصغار التعبير عن غضبهم ضد الشركات الكبيرة ، ولكنهم لم يسعوا إلى مصادرة هذه الشركات ، بل كانوا يسعون للانضمام إليهم. ووفقا ل«دانيال غيران» وقوله: «إن الطبقات الوسطى لا يرغبون في القضاء على البرجوازية الكبيرة كطبقة. بل على العكس من ذلك ، فإنهم يودون أن يصبحوا أنفسهم من كبار البرجوازيين». 'ولهذا السبب ، أصر «تروتسكي » على أن البرجوازية الصغيرة لا يمكنها أن تقوم بدور الحاكم بنفسها.

والفاشية الألمانية ، مثلها مثل الفاشية الإيطالية ، صعدت إلى السلطة بامتطاء ظهور صغار البرجوازيين... لكن السلطة الفاشية كانت من أشد الدكتاتوريات

قسوة المحتكرة لرأس المال. ولقد كان موسوليني على صواب، فالطبقات المتوسطة غير قادرة على رسم سياسة بشكل مستقل بها.

الفاشية كأيديولوجية وكحركة

إذا كانت الفاشية هي حركة لها شكل واحد وفي نفس الوقت مدعومة من خلال الجماهير والأهداف الرجعية ، فمن ثم يكون هناك تعارض في قلب الحركة. فعلى حد تعبير «كارل راديكKarl Radek » ،الذى قال : بأن قوة الفاشية بالتحديد هى التى تشكل الأساس لسقوطها». فكون الفاشية هى حزب صغار البرجوازيين ، يعنى أنه كان لها جبهة هجوم واسعة ، ولكن كونها حزبا لصغار البرجوازيين ، فإن ذلك لم يكن ليمكنها من تنفيذ السياسة الرأسمالية الإيطالية دون أن يحدث تمرد في المعسكر الخاص بها.

«إن هذا التوتر كان ليحدث بشكل طبيعى حتى قبل أن تأتي الفاشية إلى السلطة ، من حيث حالة العداء بين هؤلاء الفاشيين من أنصار الرجعية الاجتماعية وأولئك الذين يدعمون الخطاب الاشتراكي للحركة الفاشية. ولذلك كانت هناك حاجة لوجود فكر ، والذي يساعد بدوره على اللحمة بين الجماهير مع الجوانب الرجعية للحركة ليصبحا جسدا واحدا.

وبعد أن وصلت الفاشية إلى السلطة ، كان التفاوت بين الفكر والحركة لا يزال عميقا وواضحا بشكل كبير. وكما قال «دانيال غيران» :« إن السلطة الفاشية لم تقم بهذا الغزو للوصول للسلطة من أجل مستشاريهم الماليين فقط ، بل أيضا لذاتهم أنفسهم. وبالتالي نشأت هناك توترات ، والتي يشير إليها « توليتيTogliatti ، بين الحزب الفاشي والدولة الفاشية ، وبين الميليشيات الفاشية والجيش ، وبين الفاشية وكل من النقابات ، والمنظمات الصناعية والدولة.

وهذا التناقض بين الفكر والحركة يفسر جانبا من المبادىء النابليونية للفاشية بمعنى:

بقدر ما كانت الفاشية حركة جماهيرية ، وتعطى وعودا بالحكم ضد المصالح الرأسمالية ، بقدر ما أنها كانت حركة رجعية ، فقد كانت تحكم ضد مصالح الطبقة التي يمثل أعضاءها الجزء الأكبر من حزبها «الحزب الفاشي ». والنتيجة هي أن الفاشية قوضت قاعدة الطبقة الخاصة بها ، ولكنها من ناحية أخرى كانت تلبى متطلبات رأس المال ، وبالتالي وفرت نظام أكثر استقرارا من الحكم بشكل فاق توقعات بعض الماركسيين.

إن هذا التناقض بين الأهداف والحركة الفاشية هو ما يفسر لماذا أقدمت الفاشية كنظام على التوسع الإقليمي والحرب. وقال «ليون تروتسكي» : إن الفاشية كانت تحتاج «الأعداء الخارجيين» لأنه لم تتمكن من إرضاء آمال مؤيديها العاديين.

وفي الواقع ، إذا كانت هناك بصيرة لرؤية أمر هام بالنسبة إلى النظرية الماركسية للفاشية ، والذي يحوز على اهتمام من هم من غير الماركسيين أيضا ، فإن ذلك يتمثل فى النقطة التالية :« أن الارتباط بين الأهداف الرجعية للفاشية والحركة الجماهيرية الشعبية كان ينطوي على توتر دائم أيضا».

البحث فى التعريف الماركسي

إن الثلاثة نقاط فى التعريف السابق هى مؤقتة وتحت الاختبار. وللقيام باختبار أي تفسير نظري لتقليد سياسي ، فإن هذا يكمن في قدرة هذا التفسير على ربط «نموذج عام» بالتاريخ الفعلي لهذه الحركة لكى تصعد إلى السلطة ، واقترح «ماركس» أن ينتقل التفسير من الشكل «المجرد» إلى الشكل « الملموس». هذا يدعم الناحية النظرية لتفسير « ليون تروتسكي» للفاشية من حيث «النوعية». فقد أكد

تروتسكي دائما على الطبيعة الخاصة والتاريخية للفاشية حيث يقول : « إن أهم قانون فى النظرية الجدلية هو أن تكون الحقيقة ملموسة دائما.

إن جزءا من مستقبل النظرية الماركسية عن الفاشية يكمن في المصطلحات التحليلية المتعلقة بحركات سياسية معينة. ولقد كان هناك قدرٌ كبيرٌ من البحوث التجريبية من الماركسيين في دراستهم للفاشية الألمانية ، ولكننا نحتاج الآن إلى مجموعة واسعة من التحقيق فى الوقائع الخاصة بالحركات الفاشية وكذلك الأنظمة الفاشية ، سواءًا عندما كانت تلك الحركات فى أوج نجاحها أو عند فشلها . ولا يمكننا التحدث بعد عن مدى تأثير التاريخ الاقتصادي لهذه الفترة فى صياغة وتشكيل الفاشية فى ١٩٢٠ و ١٩٣٠ ، ولا أن نتحدث أيضا عن مدى تأثرها وتشكيلها عندما ظهرت رأسمالية الدولة. كما لا يمكننا الجزم ما إذا كانت الفاشية المعاصرة قد تأثرت أكثر بحاجتها على الإبقاء على التقاليد الفاشية القديمة ، أو أنها ترى أنها بحاجه أكثر إلى التكيف ، كما لا يمكن التكهن بتطلعات الطبقة المتوسطة الخالية والمختلفة حتما عن سابقتها ، أو التعرف على ا لمشاكل القديمة للرأسمالية.

وبعد أن يتم الانتهاء من أعمال الدراسة التى توصف بأنها أكثر تجريبية ، فمن المرجح أن الماركسيين سوف يكونون قادرين على فهم نظري أكبر لهذه الأسئلة المهمة ، والتي ستؤدى بدورها لتحسين فهمنا للمشاكل وبشكل أوسع أيضا. و لا يزال أمام الماركسيين الكثير ليتعلموه في دراستهم للفشية ، بخصوص دور الفكر ، وطبيعة البرجوازية الصغيرة ، وطبيعة الحركات الرجعية التي يعارضها الماركسيين.

إن القيمة الحقيقية للنموذج الذي أشرت إليه يكمن فى أنه يقدم إجابة واضحة على الأسئلة التي فشلت الدراسة التقليدية للفاشية حتى الآن فى الرد عليها .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو «هل كانت الفاشية مجرد مظهر من مظاهر

الاضطراب النفسي السياسي؟ لا أعتقد ذلك.

وقد فشل العديد من « الشخصيات» السياسية على مر التاريخ ، كما أن الفاشية قد تشكلت في موطنها فى فترة متأخرة من الرأسمالية. فالفاشية ليست مجرد « تفكير مناسب من إحدى الشخصيات الاستبدادية» ، بل هى أكثر من ذلك كتقليد سياسي متميز. ونجد أن الفاشيين متمسكون بهذا التقليد ، حتى عندما يكون تمسكهم هذا ضد مصالحهم. وهذا ما يفسر انشغال الفاشيين بإنكار الهولوكوست. ومن الناحية التكتيكية ، فإن تصرفهم هذا لا يؤدي إلا إلى العودة لمناقشة المحرقة التاريخية ، ولكن يجب أن يكون لدى الفاشيين حجة تفسر ما ارتكبوه من جرائم. وهم لا يستطيعون قبول الحقيقة بأن نظام هتلر كان القتلة ، لأن ذلك سيكون بمثابة إنكار لأنفسهم وإدانة لهم.

هل ينبغي البحث عن جوهر الفاشية في عالم الأفكار ، أو في الظروف التاريخية التي أدت لظهور تلك الفاشية؟ ومن وجهه نظرى أقول : إن أى منهما لن يكون كافيا لوحده. فالفاشية هي في المقام الأول شكل من أشكال التعبئة السياسية ، وشكل من العلاقة المميزة بين أيديولوجية معينة وشكل معين من الحركات الجماهيرية. وهذه العلاقة بين الفكر والحركة هي التي تمثل المفتاح لفهم الفاشية. وهذا لا يعني أن الحركات يجب أن تكون مدعومة جماهيريا من أجل أن تصنف على أنها فاشية - فليس هناك ما يدعو إلى القول بأن الأحزاب الفاشية الفاشلة هي أقل « فاشية» من تلك الأحزاب الفاشية الناجحة.

إن الحزب النازي الألماني لم يصبح فجأة «فاشيا» عندما حقق نجاحا في استطلاعات الرأي ، بل كان فاشيا بالفعل من قبل عام ١٩٣٠. و الذي ساعد على جعله فاشيا هكذا هو طموحه فى أن يصبح حزبا جماهيريا رجعيا. وقدم هتلر نفسه بأنه يطمح في أن يكون «مدمر الماركسية» ، وكان هذا الهدف هو الذي جعل منه

ومن حركته «فاشيين» ، وحتى قبل أن يصل الحزب إلى حجم كبير.

هل الفاشية هي أداة للرأسمالية والإمبريالية؟ نعم و لا. وقد وصف معظم الفاشيين أنفسهم دائما على أنهم «جزءا من طريق ثالث» ، يعارضون كل من الرأسمالية والاشتراكية بشكل متساو. ولقد رأوا أنفسهم ثوريين ، ولكن الفكر الفاشي قد تصرف لتحقيق مصالح واضحة لرأس المال ، وبالتالي فإن «موسوليني إيطاليا»

و«هتلر ألمانيا» ، كلاهما وصل إلى السلطة وذلك بدعم من المؤسسة السياسية.

و شهد كلا النظامين في السلطة ، زيادة في أرباح الرأسماليين ، والتي حققها الرأسماليون بدورهم من خلال الاستغلال المتزايد للعمال العاديين.

لقد اكتسبت الفاشية شعبية من خلال وعودها الثورية ، ولكن الفاشية تصرفت بطريقة رجعية في السلطة. في الواقع ، لم تكن النتائج الفاشية ذات أى مدلول ثورى له مغزى. وكانت الفاشية وما تزال أيديولوجية تهدف للقضاء على المظاهر الديمقراطية للديمقراطية البرجوازية. ولطالما عملت على انتزاع المكاسب الديمقراطية التي فازت بها أجيال من الديمقراطيين والاشتراكيين و النقابات التجارية والحركات النسائية. هذا هو بالضبط الطابع الشامل للفاشية الذي مكنها من أن تلعب هذا الدور المدمر. ويصف «أدريان ليتلتونAdrian Lyttleton ، وهو مؤرخ للفاشية الإيطالية ، تلك التناقصات قائلا :

للوهلة الأولى ، ومن خلال البرنامج المتقدم للقادة السابقين للحركة الثورية الفاشية ، كان هؤلاء القادة على ما يبدو غير قادرين على اجتذاب المساندة الرأسمالية لجانبهم ، بل وبشكل أكثر صراحة ، كان يتم تثبيطهم. ولكن هذه العوامل ذاتها تعني أيضا الكثير، من حيث أنها كانت الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تؤدي إلى « حفر قناة القوى الرجعية إلى داخل المخيم الوطني»... ويمكن رؤيه الفاشية على أنها نتاج

المرحلة الانتقالية من «رأسمالية السوق» للمنتجين المستقلين، إلى الرأسمالية المنظمة الخاضعة لاحتكار القلة. ومما يدعو للسخرية وبشكل ملحوظ ، أنه في حين جاءت الفاشية كحركة سياسية أصلا للتعبير عن التمرد ضد نشأة أى « قوى رأسمالية منظمة» إلا أن الفاشية كانت تقدم التبريرات النظرية لدعمها كنظام لتلك القوى.

قد تكون هذه العملية أقل من السخرية التى كان «ليتلتون» يحاول أن يوحي بها. فلم تكن الفاشية تعبر عن موقف غير شريف أو معارض للمنتجين المستقلين ، كما أنها كانت وفية لقاعدتها الطبقية. ولكن فشل الفاشية كان يكمن فى محاولاتها لتغيير المجتمع لصالح فئة رأسمالية صغيرة ، وهذا لا يعد فشلا للفكر ، وإنما هو انعكاس صادق لضعف اجتماعي حقيقي لتلك الطبقة البرجوازية الصغيرة في ظل الرأسمالية.

هل الأنظمة التي ينطبق عليها التعريف أعلاه ، إلى حد ما يمكن أن تسمى بالفاشية؟ ، وأنا أزعم أنها الأنظمة التى كانت فى إيطاليا وألمانيا فقط.

وجاء نظام الجنرال فرانكو في أسبانيا فى وقت قريب ، ولكن يبدو أنه قد فقد طابعه الجماهيرى ، بسبب انتصار الملكيون في الحرب الأهلية. و بالتأكيد أنه نظام حدد لنفسه مهمة معينة متمثلة فى سحق الاشتراكيين والحركة النقابية ، ولكنه كان قادرا على استخدام الطبقة الحاكمة الحالية وهياكل الدولة القائمة عند قيامه بذلك. واستندت حكومة الجنرال فرانكو على قوة الجيش ، وليس على الدعم الجماهيري لحزب شعبي.

وخارج أوروبا وأمريكا الشمالية ، فإنه من الصعب الحكم على الأحزاب التي كانت فاشية من التي لم تكن كذلك. وكانت هناك أنظمة ذات قومية متطرفة والتي كانت تحظى بتأييد جماهيرى شامل ، و «بيرون Peron » فى الأرجنتين مجرد مثال واحد من بين كثيرين.

إن مثل تلك القومية لمثل هذه الأنظمة في العالم الثالث ، حيث كان جمال عبد

الناصر فى مصر ، أو نهرو فى الهند ، كانت قوميات ذات طابع مختلف عن قومية الدول الإمبريالية. وأيا كانت ذرائع عبد الناصر ، إلا أن الدولة المصرية لم تكن أبدا قوة عالمية فى مكانة بريطانيا الإمبريالية ، أو فى مكانة الولايات المتحدة اليوم. وكما قال لينين ، في عام ١٩١٦ ، بأن الحركات الوطنية القائمة في تلك البلدان التي هي ضحايا للإمبريالية أو الاستعمار لها طابع معادي للإمبريالية يوصف أنه « موضوعى» . وأنهم «بموضوعية أيضا ... يهاجمون رأس المال».

و تاريخيا ،فقد نمت الفاشية أسرع في تلك الجماعات داخل المجتمعات الأوروبية التي تتمتع بنتائج إيجابية للحكام من تجربة الاستعمار. فالفاشية تناسب حكام الإمبراطورية ، وليس المحكومين.

ويمكن النظر إلى الاختلافات بين الدولة الفاشية وأي شكل من الأشكال المحافظة من الحكم الاستبدادي من خلال النظر إلى أمثلة محددة لهذه الأخيرة ، وهو الشكل الأكثر شيوعا من الأنظمة الحالية. فعلى سبيل المثال ، فتركيا اليوم تخضع إلى حد كبير للطبقة العسكرية. حيث أن أعضاء الطبقة الحاكمة الاقتصادية فى تركيا يتعاونون مع الشرطة السرية والأحزاب الفاشية ، أمثال «حزب الحركة القومية MHP» وBBP . والواقع وبين خريف وشتاء عام ١٩٩٦ ، فإن العديد من الاتصالات بين هذه الجماعات قد تكشفت ، في أعقاب فضيحة سوسورلوك Susurluk ، والتى عثر فيها على وزير في الحكومة التركية ميتا في سيارة أحد الفاشيين المعروفين ، والذي كان هاربا من الشرطة لدوره في سلسلة من الاغتيالات السياسية. وتشرف الشرطة السرية التركية عن كثب على اجتماعات الاشتراكيين والنقابيين ، وتوقف في كثير من الأحيان تلك الاجتماعات أو تحظرها. وفي ربيع عام ١٩٩٧ ، كان الجيش قويا بما يكفي لحل حزب الرفاة الإسلامي ، على الرغم من أنه

كان آنذاك يعد أكبر تمثيل في البرلمان التركي. وكانت الحكومة التركية بشكل واضح استبدادية وغير ديمقراطية : فهى تحكم باسم الأيديولوجية القومية المستمدة من «كمال أتاتورك» ، مؤسس الدولة التركية ، لكنها ليست فاشية. وتكمن قوة الحكومة في دعم الجيش والطبقة الرأسمالية لها ، وليس عن طريق دعمها من قوة جماعية من خارج البرلمان. ولأن أصولها أكثر تقليدية ، وبالتالي فإن الدولة التركية قادرة على الحكم مع درجة من الرضا. فالانتخابات ما زالت تعقد ، في حين أن تبقى حركة الطبقة العاملة حرة نسبيا فى التقاتل من أجل الإصلاحات. و في الواقع إذا كانت تركيا فاشية ، إذن فما هى جدوى الأحزاب الفاشية ، التي تتواجد وتنظم نفسها ضد النظام الموجود؟

وكانت هناك أحزاب من خارج مراكز الرأسمالية العالمية والتي اتخذت الكثير من الأفكار الفاشية ، ولكن معظمها قد يكون له طابع مختلف وأكثر مناهضة للإمبريالية. وقد يكون أحد الأمثلة على ذلك حزب (مصر الفتاة) في ١٩٣٠ الذي وبسبب انتماءاته الأيديولوجية للفاشية ، يتم ذكره في بعض الأحيان من قبل الماركسيين والفاشيين ، على الرغم من أنه في الواقع كان صريحا للغاية ، وعلاقته مع الدولة المصرية غير فاشية.

وهذا لا يعني أنه لم تكن هناك أي حركات فاشية في العالم الثالث. فقد استخدمت آر إس إسRSS الهندية (وهى المنظمة الوطنية للمتطوعين و حب الوطن...) زي شبه عسكري للقوات وقامت بتسليح فرق المتطوعين منذ ١٩٢٠.

وخلال عام ١٩٣٠ ، استعارت تلك المنظمة الإيديولوجية القومية والعرقية من ألمانيا النازية ، لكنها لم تحتضن جميع جوانب الفكر الفاشي. وسيكون أكثر دقة أن نقول إن آر إس إس تعمل على تكييف الفكر الفاشي ليتناسب مع الظروف الهندية. كما قامت تلك الحركة في عام ١٩٩٠ ، باستخدام أعمال الشغب الطائفية والمواكب

كشكل من أشكال السياسة الشعبية الموجهة ضد الدولة ، ولهذا السبب ، يمكن وصف آر إس إس كحركة شعبية رجعية وفاشية.

وكذلك ال«جولدشيرت Goldshirts (أو القمصان الذهبية) في المكسيك ، و« جرين شيرتGreenshirts (أو القمصان الخضراء) فى البرازيل في عام ١٩٣٠ ،و « جراى وولف(أو الذئاب الرمادية) وهو حزب الحركة القوميةMHP في تركيا اليوم ، كلها تتناسب أيضا مع التعريف الذى اقترحته.

وأنا أعرف أن هناك من الماركسيين من لا يتفقون مع حجتي في هذه المرحلة ، والذي يوحي بأنني أبالغ فى تقديري لما ينطرون إليه على أنها «حركات فاشية» فعلا تواجدت مؤخرا في منطقة الشرق الأوسط وأمريكا الجنوبية ومناطق أخرى. ويبدو لي ، مع ذلك ، أنه إذا كان للفاشية معنى معين ، فإنه مصطلح يجب أن يخضع للتعريف. والأسلوب الأول الذى استخدمته فى تحليلاتى للفاشية ، كان من حيث طابعها الطبقي ، ومن حيث العلاقة بين التقاليد المعروفة في التفكير الفاشي ، والاستخدامات التي نفذت فيها تلك الأفكار الفاشية.

وعلى أساس هذه النظرية ، أخذت حالة الإمبراطورية البريطانية ، التى كانت من أكبر الأنظمة الاستعمارية ، ولكنها مع ذلك لم تكن في الواقع فاشية. وأود أن أقترح أيضا أن روسيا الستالينية ، على الرغم من معسكرات الاعتقال ، لم تكن فاشية أيضا.

ومن ناحية أخرى ، فقد جادلت بأن الحركات الفاشية المعاصرة ، تشمل كل من الجبهة الوطنية في فرنساFN ، والأمم الآرية في أمريكا ، والتحالف الوطنى في إيطاليا AN ، وحاولت أن أوضح ما يتناسب مع كل نموذج مستخدم من تلك النماذج. ويبدو لي من المهم أن يتعامل الماركسيون والمعاديون للفاشية والمؤرخون

من كل صوب وحدب ، مع مصطلح «الفاشية» بحذر ، ، والاحتفاظ به ليتم إطلاقه فقط على من يستحق هذا الاسم. وأن أي طريقة بديلة سوف تفرغ المعنى من مضمونه. لأن معاملة جميع الأنظمة الاستبدادية على أنه فاشية، بصرف النظر عن شكلها أو وظيفتها ، يمثل تراجعا عن الموقف النظري الذى تحدث عنه كارل كورتش ، و أقصى اليسار ثم الحزب الشيوعي الألماني ، في ١٩٢٠. إن هذه النظرية يبدو لي أنه قد أثبتت خطئها في الممارسة العملية ، في عام ١٩٣٣.

لأن وصف جميع القوى الرجعية كما لو كانت كلها متشابهه ، وكذلك تسريح مناهضى الفاشية ، ومنعهم من القيام بأى ممارسات ،وكلها عوامل نجمت من نظرية اليسار والتى ساعدت هتلر للوصول إلى السلطة بشكل فعال.

و بالتأكيد ، لم يكن الحزب الشيوعى الألمانىKPD هو المخطئ فقط بنظريته اليسارية ، فلقد ثبت خطأ نظرية اليمين أيضا ، ولكن لا أرى أي سبب لماذا ينبغي على الاشتراكيين أن ينسوا الدروس المستفادة والتى سالت بسببها الدماء.

وأخيرا ، فهل وصلت الفاشية إلى نهايتها؟ لا أعتقد ذلك . فالفاشية سمة متكررة للمجتمع الرأسمالي : فما دام هناك أزمات اقتصادية وبطالة ، سيكون هناك «يأس سياسي» ، وما دام هناك عنصرية منظمة ، ستكون هناك فاشية. وعلاوة على ذلك ، فإن نجاح «لوبان» و«هايدر» يدل على أن الفاشية تعود مرة أخرى لتمثل تهديدا. ولم يعد يكفي تعريف الفاشية فقط ، بل هناك حاجة أيضا لنظرية واضحة تعطي اقتراحات عملية عن الطريقة التي يمكن بها معارضة الفاشية.

(يورج هايدر سياسي نمساوي ، وصف من قبل منتقديه بأنه «فاشي مترف» ، وهو يأمل في الحصول على المركز الثاني الانتخابات العامة ،...).

***

كيف يمكن وقف الفاشية اليوم

بدأ هذا الكتاب بالقول : إن الفاشية قد انتقلت إلي صلب الجدل السياسي - ولم تعد مجرد مشكلة تاريخية ولكنها أصبحت مرة أخرى تمثل جزءا من المشهد السياسي الأوروبي. ويترتب على ذلك أن يكون أهم سبب ودافع لفهم الفاشية هو من أجل معارضتها. وفى هذا القسم الأخير من الكتاب ، هناك بعض المقترحات الاستراتيجية التي قد تساعد على التغلب على تلك الفاشية أو إضعافها. فإذا كان من المقبول القول بأن الفاشية هي حركة جماهيرية حيوية أو ديناميكية ، والتى تعبر عن مظالم الناس العاديين لصالح إيديولوجية مختلفة لديها و مصالح خاصة بها تختلف مع مصالح هؤلاء الجماهير ، فإنه يستتبع ذلك الاستنتاج بأنه يمكن دائما وقف تلك الفاشية.

وبالنظر إلى أن هناك بالفعل إمكانية لفصل الناس الذين يتعاطفون مع الفاشية كأيديولوجية عمن يتعامل معها إيمانا منه بممارساتها كأسلوب فاشي ، حيث أن عملية الفصل بين هذين النوعين يمكنها أن تكون أكثر فعالية. وهذا هو ما حاولت الجبهة الشعبية القيام به ولكنها فشلت فى النهاية .

و السبيل الوحيد لإخراج العمال وصغار الملاك من الفاشية يكون من خلال توجيه النداء لهم لوضع حلول مختلفة جذريا للإجابة على سؤال ما الذي ينبغي القيام به.

وكما قلت سابقا ، فإن معظم النظريات الماركسية المقنعة عن الفاشية هى التى عملت على صياغة تلك الفاشية عندما بلغت ذروة نفوذها في عام ١٩٣٠. ووصل المنشقون من الماركسيين إلى فهم دقيق للفاشية ، والأكثر من ذلك أن نظرياتهم كانت تشير إلى الكيفية التي يمكن بها معارضة الفاشية. وأكد عدد من المفكرين الماركسيين ، بما في ذلك «انجيلو تاسكا Angelo Tasca ،و ماكس سيدويتز

Max Seydewitz ،و « انطونيو غرامشيAntonio Gramsci ، و«اجنازيو سيلون Ignazio Silone ، على الفكرة القائلة بأن وحدة الطبقة العاملة ، والجبهة المتحدة ، كانتا ضروريتان لوقف الفاشية.

وكان أعظم بطل فى هذا التكتيك هو « ليون تروتسكيLeon Trotsky » ، والذي جادل بأن الحزب الاشتراكي الديمقراطي فى ألمانيا (SPD) والحزب الشيوعي الألمانى (KPD) ينبغي على كلاهما أن يتحدا حول شعارات دفاعية لحماية معاقل الطبقة العاملة.

ويوسع تروتسكي من مفهومه للجبهة المتحدة على حساب أساليب الأممية الشيوعية. وخلال الفترة ١٩٢٨-١٩٣٤ ، قالت جماعات مثل الحزب الشيوعى KPD بأنه ليست هناك حاجة للوحدة. وذلك لأن الديمقراطية الاجتماعية هى حليف طبيعي للفاشية ، وأن الفاشية نفسها لا يمكن أن تأمل في تحقيق الاستقرار للرأسمالية في عصر كثرت به الأزمات. وكانت التحالفات المسموح بها ذلك الوقت في مناهضتها للفاشية تتمثل فى بعض الأفراد من الحزب الاشتراكي الديمقراطيSPD ، وكان ذلك يتم من خلال العمل في الهيئات التى تم إنشاءها تحت توجهات الحزب الشيوعى KPD. ووصفوا هذا التكتيك باسم «الجبهة المتحدة الثورية من أسفل».

ومع ذلك، ومن عام ١٩٣٥ فصاعدا ، جادلت الجماعات الشيوعية بعكس ما كانت تقترحه هى نفسها في السابق. فقد زعموا أن الفاشية كانت قوية وفي صعود متزايد وسريع الخطى ، وأن السبيل الوحيد لكسب تأييد الناس بعيدا عن تلك الفاشية كان بضم مطالب الطبقة العاملة إلى تحالف أوسع مع أعضاء الطبقة المتوسطة والطبقات الحاكمة المعادية للفاشية. وهذا يعني «تحالف سياسي» ليس فقط مع الاشتراكيين ، ولكن أيضا مع الليبراليين والمتشددين ومع المحافظين في

نهاية المطاف. إن هذا التكتيك أصبح معروفا باسم «الجبهة الشعبية».

ويختلف مفهوم تروتسكي عن «الجبهة المتحدة» بشكل جذري عن البدائل المقترحة لها من الآخرين . فإن أسلوب الجبهة المتحدة يختلف عن أسلوب «الجبهة المتحدة من الأسفل » ، من ناحية أن الجبهة المتحدة ولدت كتحالف ، ليس فقط مع أفراد من الأحزاب الاشتراكية ، ولكن أيضا مع أعضاء قياديين والجماعات داخل المنظمات الإصلاحية. والجبهة المتحدة تختلف عن الجبهة الشعبية ، كون الجبهه المتحدة تمثل تحالفا محدودا ، تهيمن عليها السياسة الاشتراكية ، واحتفظ كل من الحزبين داخلها بالحق في الاختلاف. وأهم فرق رآه تروتسكي فى دفاع الاشتراكية الموحدة ضد الفاشية ، أنه كان بمثابة وسيلة لتحول الاشتراكيين من «موقف دفاعي» إلى موقف آخر «هجومى» . ومن شأن نجاح الديمقراطية الدفاعية للطبقة العاملة تسهيل الاستيلاء على مراكز نضالية ناجحة ضد الرأسمالية : « إن تحطيم الفاشية... يعني تقدم مباشر لثورة اجتماعية».

وفي حال قبول الجبهة المتحدة باعتبارها أفضل استراتيجية عامة في الحرب ضد الفاشية ، فإنه ينبغي الاعتراف بأن هذه الاستراتيجية الفردية التى تدخل ضمن إطار «وحدة الطبقة العاملة» ، لا تزال إستراتيجية تتطلب توظيف مجموعة متنوعة من الأساليب التي يمكن تطبيقها. بمعنى أن هذا التوظيف قد يتطلب مزيج من الأساليب المختلفة من خلال التعرف على طبيعة تلك الحركة الفاشية وكيفية محاربتها.

وحيث إن الفاشية تسعى بالفعل للسيطرة على الشوارع ، فإن أهم شيء يمكن أن نفعله لمواجهة الفاشيين ، هو فضح أعمال العنف البشعة المتأصلة في صميم حركتهم. وبما أن الجماعات الفاشية صغيرة ومعزولة وتتميز بالمشاحنات فيما بينها أيضا ، فإنه سيكون من الخطأ بالنسبة للماركسيين والديمقراطيين أو الاشتراكيين

تكريس طاقاتهم كلها فى المطاردة المستمرة للقلة القليلة المتبقية من الفاشيين ، ولكن بدلا من ذلك يصبح أهم شيء يمكن عمله بهذا الشأن هو التحضير. بمعنى أنه ينبغي مكافحة الفاشيين عن طريق الإعداد الجيد لفضح خططهم الفاشية ، والعمل على تثقيف الأجيال الجديدة للكشف عن تلك القوى في المجتمع من التي تشجع على العنصرية وتساعد على النمو الفاشى.

إن تعرية الفاشية وتثقيف الأجيال عن حقيقتها يعتبر حجر الزاوية فى مهام مناهضى الفاشية ، ولكن هذه الأساليب تحتاج أن يتم فهمها أولا و بشكل صحيح. فالفاشية تصبح خطيرة فقط عندما تصبح عقيدة أيديولوجية لمجموعه من الناس. وعلاوة على ذلك ، فإن معظم المنظمات الفاشية لا تنشر رسالة من النازية الكلاسيكية لعامة الناس ، لأن مثل هذه الأفكار موجودة في صلب الفاشية ، ولكنها للتداول الداخلى فقط. ولأن الفاشيين يتشكلون فى صورة القوميين أو العنصريين -- فبالتالي فينبغى على مناهضى الفاشية ألا يقوموا باستعراض تلك الفاشية ببساطة على وضعها الحالى ،بل يجب عليهم أن يستبقوا هذا الوضع والانتشار على نطاق أوسع فى بث رسالتهم المناهضة للعنصرية. وعند القيام بذلك ، ينبغي على مناهضى الفاشية أن يعترفوا أيضا بأن هناك العديد من المظاهر في مجتمعنا والتي تشجع على العنصرية وتساعد على ازدهارها. ففي بريطانيا على سبيل المثال ، تتجسد تلك المظاهر في الصحافة الشعبية ، وضوابط الهجرة ، وتركة الإمبراطورية البريطانية ، وسلوك الشرطة ولغة السياسيين المنتخبين. ويصبح الأمر أكثر صعوبة عند محاولة مكافحة أفكار القوميين البريطانيين ، لأنه سيتحتم التعامل مع «العنصرية المؤسسية »، ولكنها فى النهاية مازالت مهمة يتحتم القيام بها.

والترياق الأكثر فعالية ووضوحا فى مناهضة العنصرية هو «سياسة الطبقة».

فعندما يشعر العمال في النقابات العمالية بأنهم واثقون من أنفسهم وأقوياء ، تصبح الفاشية قوة هامشية ، بمعنى أن تلك الفاشية قد نمت في الفترات التي أجبرت فيها بالفعل نقابات العمال والاشتراكيين على اتخاذ موقف دفاعي.

وظهرت الفاشية لأول مرة من جراء هزيمة الحركات الثورية في إيطاليا وألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى. وبالمثل وفي عام ١٩٨٠ كانت متواجدة خلال الفترة التي عانت فيها الطبقة العاملة الصناعية من النكسات السياسية ، وبدأت الفاشية والعنصرية فى كسب أرضية لها في أوروبا. حتى في الفترات الدفاعية من هذا القبيل ، فمن المحتمل ازدهار القوة الفاشية مرة أخرى. وكان هذا هو بيت القصيد من تركيز تروتسكي على «الجبهة المتحدة».

و من أجل منع ظهور الفاشية ، يصبح من المناسب للاشتراكيين الاتحاد مع أى قوات تبدى تعاطفا معها. ويجب على مناهضى الفاشية أن يقوموا بطرح مطالب إيجابية لصالح الطبقة العاملة. و إذا لم ينجح مناهضى الفاشية فى استخدام «لغة الطبقة» ضد رأس المال ، فهم بذلك لن يتمكنوا من إقناع الطبقة العاملة أو هؤلاء الناس من الطبقة المتوسطة والذين هم حقا ساخطون على العالم الذي يعيشون فيه.

وقد تمثلت أقل استجابة فعالة فى مواجهه ظهور الفاشية في محاولة «سرقة ملابس الفاشيين». فكما سبق أن ذكرت ، ففي ألمانيا وفرنسا ، فقد استجاب أحزاب «يسار الوسط» و«يمين الوسط» لنمو الأحزاب الفاشية من خلال تبني السياسات العنصرية الخاصة بالفاشية نفسها. وكانت أحزاب الوسط حينها تأمل أنه وبتصرفها هذا ، ستنجح فى تهميش الفاشية ، ولكن على العكس ، فقد ساهم تصرفهم هذا فى إضفاء الطابع المؤسسي على العنصرية. وتصف « نونا مايرNonna Mayer » الآثار الناجمة عن هذا الجبن السياسي للاحزاب الرئيسية كما يلى :

لقد استعارت كل من الحكومات اليمينية واليسارية في فرنسا سياسات معينة من خطابات لوبان السياسية ، وذلك من خلال تنفيذها لسياسات أكثر صرامة بشأن قوانين الهجرة. ومع ذلك ، فقد أثبتت هذه الاستراتيجية أن لها نتائج عكسية... فلا طرد المهاجرين غير الشرعيين عبر طائرات مستأجرة ، التي تنفذها الحكومات اليمينية واليسارية ، ولا اعتماد القوانين المقيدة للدخول الأجانب في فرنسا ، ولا إصلاح قانون الجنسية في عام ١٩٩٣ أوقف من تقدم حزب الجبهة الوطنية. بل على العكس من ذلك ، فإن هذه الأعمال عززت فقط من نشر الأفكار الشرعية لتلك الحكومات.

كما يحلو ل «لوبان» القول أن سياساته على المدى الطويل قد تجلب لهم مؤيدين أكثر من الذين يفضلون « النسخة الأصلية» (وهو يعني بذلك حزبه)عما أسماه بـ«النسخة المقلدة».

كما أنه من المضلل القيام بمواجهة العنصرية عن طريق استخدام لغة ليبرالية عالمية. وهذا هو الخطأ الذي وقعت فيه فرنسا ، حيث أن اللغة السائدة لمعارضي لوبان فى الآونة الأخيرة تتخذ شعار استغاثة من العنصرية يقول «لا تلمس زميلي».

والفاشية التى أجادل بشأنها هنا ، هى شكل حقيقي « لفكر الأزمة» ، فإن تلك الفاشية عملت على حشد الناس الذين كانوا يشعرون بالغضب والنفور بالفعل - ولا يوجد أي مغزى من القول حينها ببساطة «أن العنصرية أمر سيء»- ، فإن هذا الكلام لن يكون مقنعا لهؤلاء الناس وهم فى تلك الحالة من الغضب.

وعلى حد تعبير «كولن سباركس» مرة أخرى ،بأن العنصرية هي استجابة لمشاكل حقيقية ، وبالتالى فيجب مكافحة تلك العنصرية من خلال إعطاء حلول بديلة لهذه المشاكل... والقيام « بدعاية أخلاقية » ضد العنصرية. لذلك يجب إيجاد مجموعة من الأفكار قادرة على تحدى قواعد الدعاية للعنصرية ، وتوفير بديل يمكنه أن يقنع الناس

بالتخلي عن العنصرية مرة أخرى ، و كذلك إيجاد طرق أكثر فعالية للتفكير.

إن مكافحة الفاشية تتطلب الذهاب إلى المناطق التي يبدو فيها الفاشيين أقوى ، وذلك لكسب تأييد الناس ، والتوضيح لهم فكرة أن الحلول العنصرية ماهى إلا مجرد أكاذيب. وإذا كان الفاشيين يضعون اللوم بسبب البطالة المتفشية على الهجرة ، لذلك يستوجب ذلك من مناهضى الفاشية أن يقوموا بالاستجابة من خلال إظهار أن البطالة هي نتاج أزمة الرأسمالية ، وليس بسبب الهجرة. وأن الحل لمشكلة البطالة ليس بالتخلص من المهاجرين ، ولكن من خلال التخلص من النظام الاقتصادي الذي لا يسبب إلا البؤس.

وفي بعض الأحيان ، يحاول الفاشيين التعبير عن معتقداتهم من خلال الهيئات الديمقراطية ، وخاصة الاتحادات الطلابية والنقابات العمالية. وعندما يفعلون ذلك ، ينبغي أن يصر مناهضى الفاشية على عدم تقديم منبرا لهم. حيث إن الفاشيين يعارضون حرية التعبير التى يقوم بها السود واليهود والحركة النسائية والاشتراكيين والنقابيين ، والمثليات والمثليون جنسيا ، ولذلك ، فعندما يتكلم الفاشيون ، فإنهم يشجعون على العنف العنصري ، مما يشكل خطرا على الجميع ، والاستراتيجية الأكثر فعالية تجاه هذا الأمر ، تمثل فى الإصرار على ألا يجوز سماع هؤلاء الفاشيين : «فهناك علاقة بين ما يقولونه وما يفعلونه». كما أن سياسة عدم إتاحة منصة أو منبر يستغله هؤلاء الفاشيون لا يعني أنه يجب إخفاء كتبهم الفاشية أو يتم تدميرها : ويجب بالطبع أن تكون هذه الكتب الفاشية متاحة لدراسة من قبل غير الفاشيين. ما يعني أننا يجب أن نعامل الأحزاب الفاشية على عكس غيرها من أشكال التنظيم السياسي. فالفاشية وحشية وغير ديمقراطية ، وهى أيضا تعمل كفكر يوفر حلول بسيطة وحشية مخادعة لمشاكل حقيقية ، ولهذه الأسباب يجب أن يتم الحكم ببطلانها. فالفاشية ليست

مجرد فكر سياسي ، بل هى عدو للحياة الديمقراطية.

وفي الحالات التي تمثل فيها الفاشية خطرا «ماديا كبيرا» ، فسوف يتحتم حينها على مناهضى الفاشية الدفاع عن أنفسهم. فالفاشية بطبيعتها عقيدة العنف ، وهى تجند أنصار جدد على أساس من التكريس للعنف الذكوري من قبل أنصارها الذين تتدم لهم التشويق من خلال قيامهم بالاستمتاع من خلال الاعتداءات الجسدية.

وتعيش المنظمات الفاشية على نظام غذائي ثابت من المسيرات والمارشات العسكرية. وفي « مين كامبف Mein Kampf ، أكد هتلر على أهمية مسيرات الشوارع فى الدعاية الفاشية قائلا : إن الرجل الفاشى عندما يخرج من ورشته الصغيرة أو مصنعه ، والذي يشعر بأنه ضئيل جدا ، ثم يخطو أولى خطواته في لقاء جماعي للفاشية ، والآلاف والآلاف من الناس من حوله من الذين يشاركونه نفس الآراء ، وعندما يهتف ثلاثة أو أربعة آلاف آخرين بشكل يثير الحماس... فهذا الرجل الذي يدخل هذا اللقاء ، سيغادر دون أدنى شك وهو أكثر ثقة بقوته الداخلية : ويشعر أنه أصبح جزء من هذا المجتمع على حد قوله.

ولأن المسيرات الحاشدة والترهيب الجسدي هامة جدا للفاشية ، فيترتب على ذلك معارضة تلك المسيرات من جهه مناهضى الفاشية ، وذلك من خلال منع خصومهم من القيام بتلك المسيرات. واقترح هتلر نفسه أن تلك المسيرات هى أحد السبل المميزة للحركة الفاشية والكلام له: شيء واحد يمكنه أن يوقف حركتنا فقط – وهو أن يفهم خصومنا مبادئ حركتنا ، ولو حدث ذلك ، فسيتمكنون ومن منذ اليوم الأول ، من تحطيم نواة حركتنا الجديدة وبوحشية بالغة.

وهذه الصراعات العسكرية ، يجب أن تكون مفهومة بشكل صحيح. فبالنسبة للفاشيين ، فالعنف هو حالة من السعادة تتناسب مع نظرتهم إلى العالم ، حيث أنهم

يفهمون الحرب والكفاح المسلح كحالة طبيعية للإنسان. أما مناهضى الفاشية ، فالعنف ليس جزءا من وجهة نظرهم عن العالم ، وهم لا يسعون لخلق مجتمع حيث يكون العنف شيئا طبيعيا أو مألوفا ، وأن العنف ليس شيئا يمكن لمناهضى الفاشية أن يمجدوه. ولهذه الأسباب ، فالمواجهة الفعلية ضد الفاشية يجب أن تتضمن إشراك أعداد كبيرة ، ممن لا يتسمون بالعنف في المقام الأول ، كما ينبغي أن تضم أعدادا أكبر من المشاركين ، وذلك من أجل بناء كتلة معارضة حقيقية.

إن عمليات الإحياء الأخيرة للفاشية في أوروبا تتيح أيضا أمثلة كثيرة من العمل المناهض للفاشية. حيث كانت تلك العمليات تنطوي على حملات ومناظرات جماهيرية مع قيادات متطرفة ، وكانت النتيجة تكلل في كثير من الأحيان بالنجاح.

وفي بريطانيا عام ١٩٧٠ ، بدت الفاشية في صعود. وحصلت الجبهة الوطنية NF على ١١٩٠٠٠ صوتا في انتخابات عام ١٩٧٦ فى أكبر انتخابات مجلس لندن ، وهو يمثل ما يقرب من ربع مليون صوت على الصعيد الوطني. وكان لدى الجبهة الوطنية الأموال والموارد اللازمة لتوزيع ٥ مليون من المنشورات في السنة. وحذر منتقدون من أن الجبهة الوطنية يمكن أن تحل محل الليبراليين و هو الحزب الرئيسي الثالث فى بريطانيا. وهناك عدد من المجموعات والمنظمات التى تحاول مكافحة الجبهة الوطنية ، بما في ذلك معهد العلاقات العرقية ، والحزب الشيوعي ، والحملة ضد العنصرية والفاشية ومجلة «سيرش لايت».

وكان أنجح هذه المنظمات المناهضة للفاشية منظمة «روك لمناهضة العنصرية» أو الصخرة لمناهضة الفاشية (RAR) ، ورابطة مكافحة النازية (ANL).

ولقد تأسست رابطة مكافحة النازية بوصفها الجبهة المتحدة للأورثوذكس ، وضمت أعضاء من حزب العمال الاشتراكي ونواب حزب العمال ، فضلا عن

بعض السود والنقابيين. بحلول منتصف عام ١٩٧٩ ، وزع على الأقل ٩ مليون من المنشورات الخاصة برابطة مكافحة النازية ، وبيعت ٧٥٠٠٠٠ من الشارات. وشهدت إثنتان من الكرنفالات الضخمة التى أقامتها أكثرمن مئة الف شخص وهم يتظاهرون ضد العنصرية.

و في عام ١٩٣٠ ، اضطر الفاشيون لاتخاذ موقف دفاعي . وفي عام ١٩٧٩ وفى الانتخابات العامة ، تلقت رابطة مكافحة النازية ١,٣ في المائة فقط من الأصوات. وساهمت رابطة مكافحة النازية على نطاق واسع فى هزيمة الجبهة الوطنية ، ومع أنها لم تكن العامل الوحيد فى تلك الهزيمة للجبهة الوطنية ، إلا أنها لعبت دورا هاما للغاية.

وفي ألمانيا ، تم صعود الحزب الجمهورى الألمانى الفاشي (REP) ولكن قامت حركة احتجاجات واسعة بالتصدى له. وفي عام ١٩٨٩ ، حقق الحزب الجمهورى نجاحات باهرة في الانتخابات التي جرت في برلين الغربية وفرانكفورت ، وحصل على مليونين من الأصوات في تلك الانتخابات التي جرت ذلك العام في أوروبا ، وهو ما يمثل في المتوسط نحو ٧ في المائة من إجمالى الأصوات. وفي وقت متأخر من عام ١٩٩١ وعام ١٩٩٢ ، كان الحزب الجمهورى لا يزال ينمو ، وخصوصا في ألمانيا الشرقية. ويمكن ملاحظة الثقة التى تحلت بها الأحزاب الفاشية الألمانية وذلك من خلال الأعداد الكبيرة التي شاركت في الهجمات العنصرية في مدينتي«هوييرسويردا» Hoyerswerda في عام ١٩٩١ ، و«روستوك» في آب / أغسطس ١٩٩٢ . ومع ذلك ، جلبت هذه الهجمات الفاشية ردود فعل واسعة النطاق. وكانت هناك صلوات على ضوء الشموع ضخمة لضحايا جرائم القتل الفاشى . ففي ميونيخ ، انضم ٣٠٠،٠٠٠ شخص في الاحتجاجات ، بينما في هامبورغ وفرانكفورت وبرلين ، كان هناك عدد أكثر من ذلك ممن شاركوا فى الاحتجاجات.

وتم عمل تشكيل من التحالفات العاملة في كل مدينة من المدينتين السابقتين من النقابيين والشيوعيين السابقين في رابطة ضحايا النظام النازي ، ومن الاستقلاليين ، وأعضاء « لينكسترك Linksruck (وهم مجموعة من أتباع تروتسكي في ألمانيا ، الذين كانوا تابعين لتيار الاشتراكية الدولية الألمانية) ، وكذلك الجناح الأيسر من شباب الاشتراكيين. واستطاع اليسار الألماني من منع الفاشيين من عمل المسيرات ، أو حتى عقد الاجتماعات.

وبحلول شتاء ١٩٩٣-١٩٩٤ كان الحزب الجمهورى الألمانى والأحزاب الفاشية الأخرى في أزمة محدقة ، فعلى الرغم من نموهما بشكل كبير منذ عام ١٩٩٦ ، إلا أن الحزب الوطني الديمقراطي الألمانى قام بالمواجهة بعد أن استعاد عضويته في عام ١٩٩٣.

وفي ألمانيا الغربية ، كان لا يزال الحزب الوطني الديمقراطي ضعيفا جدا في الواقع. والأكثر من ذلك ، ولكن التحالفات المعادية للفاشية التي أنشئت في في وقت مبكر من عام ١٩٩٠ ، كانت لا تزال متواجدة.

وفي ١ آذار / مارس ١٩٩٧ في ميونيخ حاول الفاشيون القيام بمسيرة ضد معرض مخصص لعرض جرائم الجيش الألماني ، ولكن تم إيقاف مسيرتهم من قبل قوة كبيرة مكونة من ٢٥,٠٠٠ إلى ٣٠،٠٠٠ من المتظاهرين ، الذين شكلوا مربعًا كبيرًا ، وسدوا الطريق لعدة ساعات بعد ذلك. وهذه المظاهرة الجماهيرية الناجحة ضد الفاشية سميت منذ ذلك الحين ب« حصار ميونيخ».

وفي الوقت نفسه ، شهدت فرنسا فى السنوات الأخيرة أيضا نموا سريعا للثقة فى الحركة السياسية المناهضة للفاشية. وفي ١٩٨٠ ، كانت حركة « أنقذونا من العنصرية أو SOS -Racisme، هى القوة المهيمنة على الساحة من الحركات

للناهضة للفاشية ، ولكن بسبب «اعتدال» تكتيكات الضغط من المجموعة المكونة منا ، فقد أدى ذلك لفشلها إلى حد كبير في وقف صعود «لوبان».

ومع تنامى الضربات الشاملة للقطاع العام منذ ديسمبر ١٩٩٥ ، فقد واكب ذلك تنامى أيضا فى عدد المنظمات المتطرفة ، لا سيما منظمة «لى مانيفيست» أو «البيان» ومنظمة «راس لى فرونت» والتى تعنى (سحق الجبهه الوطنية).

و في أيار / مايو ١٩٩٧ ، دعت هذه الجماعات الفاشية إلى مسيرة من ٧٠،٠٠٠ شخص تقريبا والذين أغلقوا المؤتمر السنوي لحزب الجبهة الوطنية في ستراسبورغ ، في حين وفى ٢٨ آذار / مارس ١٩٩٨ ، سار حوالي ٢٠٠،٠٠٠ فى مسيرة لمناهضة الفاشية في تظاهرات مختلفة في شتى أنحاء فرنسا. ونتيجة لهذه الاحتجاجات ، وضعت الجبهة الوطنية NF في موقف دفاعي ، و فقد حزب الجبهة الوطنية مقعده البرلماني الوحيد في «تولون» ، حيث حصل على ٧٠٠ صوتا فقط في انتخابات الإعادة في سبتمبر ١٩٩٨. ومنذ ذلك الحين ، تشهد قيادة الجبهة الوطنية انقساما عميقا ، ومع تحدى لوبان علنا من قبل نائبه برونو ميجريت Bruno Mégret. وكلما زاد تكرار الاحتجاجات الجماهيرية ، كلما زادت احتمالية دفع الفاشية بعيدا عن التيار الرئيسي.

وأخيرا ، كيف يمكن القضاء على الفاشية للأبد؟ لقد كان هذا واحدا من المواضيع التى تناولناها فى هذا الكتاب يشير إلى أن الفاشية هي استجابة متكررة لظروف الحياة في ظل الرأسمالية. ولأن الرأسمالية تسير دوما نحو خلق الأزمات، وذلك لأنها تجر الملايين نحو البطالة ، وهى ظروف يزيد فيها الإحساس بالمرارة. ولأن الرأسمالية نفسها تعتمد على سلسلة من الأفكار ، وهذه الأفكار تشمل العنصرية والنخبوية ، كما أن الرأسمالية تحشو مخيلتها باستمرار بالأفكار الرجعية للفاشية التي تعتمد عليها لكى تنمو.

لذلك فمكافحة الفاشية هو شيء ضروري ، ولكنها مهمة صعبة ومتكررة. وهناك عبارات لـ«روزا لوكسمبورغ» ، أن مكافحة الفاشية هى مثل عمال « سيزيف Sisyphus : أسطورة سيزيف هو مقال فلسفي من قبل ألبرت كامو. وهي تتألف من حوالي ١٢٠ صفحة ، ونشرت أصلا في عام ١٩٤٢ باللغة الفرنسية

وحتى عندما يبدو اندحار مجموعة واحدة من الفاشية ،إلا أنه سرعان ما تتولد مجموعه فاشية أخرى ، ويجب أن يتم التصدى دوما لمضمونها الفاشي . فالماركسيين يأخذون على عاتقهم باستمرار التحدي للأفكار العنصرية ، وطرح رسالتهم من البديل الاشتراكي. وهم يفعلون ذلك آملين في انتشار نمو الأفكار الاشتراكية والأفكار المناهضة للعنصرية. ولكن ينبغي على مناهضى الفاشية التسليم بأن الرأسمالية على قيد الحياة ، مما يعنى أن الفاشية سوف تتكرر.

والطريقة الوحيدة لهزيمة الفئران هو تدمير الصرف الصحي الذي يعيشون فيه. وذلك عن طريق خلق مجتمعات مختلفة ، حيث يتم تصميم الإنتاج بشكل يعمل على تلبية حاجة الإنسان ، وبناء مجتمعات لا يوجد فيها بطالة ، ولا فقر ولا يأس ولاعنصرية ، وحينها فقط يمكن وقف 'لفاشية .

و بنفس الشكل الذى طرحه « دانيال غيران» فى كتاباته في عام ١٩٤٥ ، حيث استعرض مهمة القضاء على الفاشية كما يلى : يمكن للفاشية أن تهزم فقط في ذلك اليوم الذى نقدم فيه للبشرية شكلًا جديدًا من أشكال الرجال الذين يتظافرون لتمثيل حكومات ديمقراطية أصيلة ، وكاملة ومباشرة ، ويمكن حينها أن يشارك جميع المنتجين في إدارة الأمور.

ويجمع العديد من مناهضى الفاشية من الذين وردت أسماؤهم في هذا الكتاب وكذلك غير أن على البديل للهمجية يتمثل فى خلق فروع حقيقية من الاشتراكية.

و أنا أتفق مع الرأى القائل بأن السبيل الوحيد الحاسم لوقف الفاشية هو النضال من أجل إقامة مجتمع حيث يتم الاستفادة الكاملة من الإمكانات البشرية جمعاء والتخلص من جميع أشكال القمع.

obeikan.com